هذا خلق الله
(٢)

وكيف صارت شجرة؟!

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى
1425هـ - 2004 م

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

النبات... والقرآن!!

بكلِّ شَغَفٍ وتشوُّقٍ جلسَ أفرادُ أسرةِ (أبي محمد) ينتظرونَ وَقْتَ الندوةِ العلميةِ التي تتحدث عن التأمّل والتفكّر في مخلوقات الله سبحانه...

... ولما اقتربتْ الساعةُ المحدّدة لذلك ، سَكَتَ الجميعُ... ، بينما كان (نبيل) مُمسكاً بالأوراق والقلمِ ، يريدُ تسجيلَ أهمِّ النقاطِ الواردةِ في الندوةِ...

... وقد ابتُدِئَتِ الندوةُ بمقدمةٍ صغيرةٍ للعريف ، جاء فيها :

لقد وعدْناكم في الحلقةِ الماضيةِ أن نُخَصِّصَ كلَّ حلقةٍ لجانبٍ من الجوانب التي تتطلَّب التفكيرَ.. والتأمّلَ.. والنَظَر ، لذلك فقد خَصَّصْنا هذه الحلْقةَ للتفكّرِ في عالَمِ النباتِ...

ولشدةِ أهميّة هذا الجانبِ، نرى أنّ القرآنَ الكريم ذَكَرَ كلمةَ (النباتِ) وما يُشتقّ منها قرابة (٢٦) مرة!

وكذلك ، فقد ذكر كلمةَ (شجرة) قرابة (٢٦) مرة!

وأما عددُ المرّات التي وردت فيها كلمةُ (الفواكه) ، فهي (١٤) مرةً!!

مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ [إبراهيم : ٢٤-٢٦] .

وهذا إن دَلَّ على شيءٍ فإنما يدلُّ على أهميةِ التفكّرِ في عالَمِ النباتِ ، حيثُ الأسرارُ والعجائبُ... ، وحيثُ الإبداعُ الإلهيُّ في ذلك...!!

إنه النّخل

وسَجَّلَ (نبيل) هذه الملاحظاتِ القيّمةَ :

ذَكَر الدكتور المحاورُ أن النّخلَ يمتاز عن غيرِه من الأشجارِ ببعضِ المَيِّزاتِ منها :

١ـ إذا قُطِعَ رأسُ النخلةِ يَبِسَتْ!!

٢ـ ولكي تَحملَ النخلةُ الثمرَ ، فلا بدَّ من عمليةِ تلقيحٍ بينَ الشجرةِ الذكَرِ ، والشجرةِ الأنثى... ، وسَجَّلَ (نبيل) بعد تلك الملاحظاتِ قولَ الله تعالى : ﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن : ٩٠ـ١٣] .

فثمرةُ النخلِ تكون ضمنَ غلافٍ عجيبٍ هو

الأكمامُ ، والسؤال الملحّ : مَن الذي خَلَقَ ذلك وأَتقَنَه ؟ ومن الذي جَعَلَ من مناظرِ الأشجارِ جمالاً ؟ ومن الذي جعل الإنسانَ يستفيدُ من الأشجارِ بعد يُبْسِها ؟ ومَن الذي جَعَلَ لها ظلالاً يتفيّأُ الإنسانُ بها ؟!

إنها قدرةُ الله سبحانه : ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴾

[ق : ٧-١٠] .

* * *

يا لعجيبِ هذا الإتقانِ!!

وقال المحاضرُ الآخَرُ :

حقاً إنّ في عالَمِ النبات من الأعاجيبِ الشيءَ الكثيرَ ، وفي ذلك دلالةٌ واضحةٌ على دقّةِ الإتقانِ في صنعةِ اللهِ سبحانَهُ ، من ذلك مثلاً :

ـ إذا تأمّلْنا الفاكهةَ نجدُ أمراً عجيباً :

إنّ جميع هذهِ الفواكهِ منشؤُها الترابُ ، وغِذاؤها الماءُ ، ومع ذلك ترى أنّ منها : الحامضَ ، ومنها الحلوَ ، ومنها المرَّ ، و...!

وهذا النوعُ من الفواكهِ يُؤكَلُ لُبُّهُ فقط وتُرمى قُشورُه ، كالرّمان...!

وذاك النوعُ من الفواكه تُؤكَلُ قشرتُه ويُرمى لُبّه ، كالتمر!!

وهذا النوع يُؤكل لبُّه وقشرُه معاً ، كالمشمش واللوز...!!

ثم ، هذه فاكهةٌ حمراءُ اللونِ ، جميلةُ المنظرِ ، كبيرةُ الحجمِ ، كالتفاح... ، وتلك الفاكهةُ صفراءُ اللونِ ، مستطيلةٌ ، ملتويةٌ ، لَزِجَةٌ ، كالموز!!

وتلك فاكهةٌ صغيرةٌ ، فيها بَذْرٌ... ، عديدةُ الألوانِ ، كالكرز..!!

وهناك فاكهةٌ عجيبةُ الأطوارِ ، وهي العنب : تكونُ صغيرةَ الحجمِ ، خضراءَ اللونِ ، حامِضةَ الطَّعْمِ ، تدعى (الحِصْرِم)... ، ثم تنمو وتكبر حبّاتُها ، وتصبحُ حُلوةَ المَذاقِ ، جميلةَ المَنْظَرِ ، مَرْصوصة الحبّاتِ ، متناسقةً إلى درجةٍ هندسيةٍ رائعة...!!

فمن وراء ذلك كلِّه ؟! إنه اللهُ أحكمُ الحاكمين...

* * *

نباتات تأكل الحيوان!!

بعد ذلك اتصلَ أحدُ المشاهدين بالدكتور المُحاضرِ ، وذلك عن طريقِ (الإنترنيت) وسأله عن النباتاتِ آكلةِ الحيواناتِ ؟!

وابتسمَ المحاضرُ ثم أجابَ بما يلي :

حقاً ، إنّ في بعضِ البلادِ أمثالَ تلكَ النباتاتِ ، خاصةً في أستراليةِ ونيوزيلاندا فبعضُها له أوراقٌ تُشبهُ الحُفرَ ، فإذا وقفَ طائر ما عليها ، فإنّ النباتَ يقومُ بِفَرْزِ بعضِ السوائلِ اللزِجَةِ ، بحيث لا يستطيعُ الطائرُ... أو الحشرةُ الحراكَ ، ثم يغلقُ أوراقَه عليه ، ثم يَفرزُ بعضَ العُصاراتِ الهاضمة... فيلتهمُ الحشرةَ ويأكلُها...!!

ويوجَدُ في العالمِ أكثرُ من (٨٥) نوعاً من النباتاتِ آكلةِ الحشرات...!!

والسؤالُ الذي يدعو إلى التفكّرِ في عالَمِ النباتِ : مَن الذي قدَّر ذلك ؟ ومَنْ علّم هذا النوع هذا الصيّد ؟!

﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه : ٥٠] .

* * *

تأمَّلْ هذه البدائعَ!؟

وتوجَّهَ عريفُ الندوةِ إلى كبيرِ المحاورينَ ، وسأله : هل يُمكنُ أن يكونَ ما نراه في الكونِ قد وُجد مصادفةً ؟!

هزّ الدكتورُ رأسَه وقال :

لو سِرتَ في طريقٍ مُشمسٍ ذاتَ يومٍ ، ورُحتَ تتأمّلُ تركيبَ الأزهارِ ، واستمعتَ إلى تغريدِ الطيورِ ، ودقّقتَ في عجائبِ أعشاشِها ، ونظرتَ إلى زَهرةٍ واحدةٍ... لرأيتَ أمراً عجباً!

أصباغٌ زاهيةٌ... تناسقٌ عجيبٌ... رسوماتٌ تَهتفُ بعظمةِ الصانعِ سبحانه وتعالى... رحيقٌ يَجْذِبُ النّحلَ... عملياتُ تلقيحٍ بين الأزهارِ...

ولذلك قال تعالى : ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [عبس : ٢٤-٣٢] .

وما أكثرَ المنافعَ التي نَجْنيها من الثمارِ والفواكهِ والنباتِ ، فمثلاً :

الزيتون : فيه فوائدُ كثيرة ، منها : أنه غذاءٌ مفيدٌ ، فزَيتُه يُسَهّلُ عملياتِ الهَضْمِ ، وفيه قيمةٌ غذائيةٌ عاليةٌ ، وهو يقلّلُ من أمراضِ الشرايينِ القلبيةِ ، ويُلطّفُ السطوحَ الجلديةَ الملتهبةَ و...!!

لذلك أقسمَ اللهُ تعالى به ، فقال : ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين : ١-٣] .

والذي خَلَقَ ذلكَ كلَّه ، رَبَطَهُ بماءِ المطرِ ، وهذا ما نشاهدُه في الواقعِ : فالفلاحُ يَبْذُرُ الحبَّ... والبذورَ في الأرضِ... ثم يعودُ إلى بيتِه وينامُ...

ولسانُ حالِه يقول : يا ربّ! منّا الزّرعُ... وعليك الإنباتُ :

﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾

[النمل : ٦٠] .

والعجبُ العُجابُ أنّ البذورَ متشابهةٌ ، مثلاً بِذرةُ الباذنجانِ تُشْبِهُ بذرةَ البندورة وتُشبهُ بذرةَ التين... وكذلك بذرة التوت... وبذرة... ، فَبَعْدَ الزرعِ... والمطرِ تنمو تلك البذورِ لتُصبحَ أشجاراً ونباتاتٍ متنوعةً في اللونِ.. وفي الطَعْمِ... وفي الحجْمِ... وفي كلِّ شيء!!

* * *

وكيف صَارَتْ شَجَرَة ؟!

ودارت نقاشاتٌ هادفةٌ جادّةٌ ، بحيث أَدْلى كلّ محاوِرٍ بما عنده من معلوماتٍ عن عالَمِ النبات ، واستُقبلت الأسئلةُ بكل صدرٍ رحبٍ...

وأحبَّ عريفُ الندوة أن يَخْتِمَ ندوتَه العلميةَ بهذه الأبياتِ الشعريةِ ، فأخرج من مِحْفَظَتِهِ ورقةً ، وراحَ يقرأ منها :

وانظـــرْ لتلـــكَ الشجـــرة

ذاتِ الغُصـــــونِ النّضـــــرَة

كيـــف نمـــتْ مـــن حبّـــةٍ

وكيـــف صـــارتْ شجـــرة ؟

فـــابحـــثْ وقُـــلْ مَـــنْ ذا الـــذي
يُخـــــرجُ منهـــــا الثمـــــرةْ ؟
وانظُـــر إلـــى الشمـــسِ التـــي
جُـــــذْوَتُهـــــا مُسْتَعِـــــرَة
فيهـــــا ضيـــــاءٌ... وبِهـــــا
حـــــــرارةٌ منتشِـــــــرَة
مَـــنْ ذا الـــذي أوجَـــدَهـــا
فـــي الجـــوِّ مثـــلَ الشـــرَرَة ؟
وانظـــر إلـــى الليـــلِ فمَـــنْ
أوجـــــدَ فيـــــه قَمَـــــرَهْ ؟
وزانَـــــهُ بـــــأَنْجُـــــمٍ...
كـــــالـــــدُّرَرِ المنتشـــــرَة
وانظـــرْ إلـــى الغيـــمِ فمـــنْ
أنـــــزلَ فيـــــه مَطَـــــرَهْ ؟
فَصَيَّـــــــرَ الأرضَ بـــــــهِ
بعـــــدَ اصفـــــرارٍ خَضِـــــرَهْ

ذاكَ هـــــــوَ اللهُ الـــــــذي

أَنْعُمُـــــــــهُ مُنْهَمِـــــــــرَة

ذو حكمـــــــةٍ بـــــالغـــــةٍ

وقـــــــدرةٍ مقتـــــــــدرة...

والحمد لله رب العالمين

* * *